مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (03) ديسمبر 2022 ص ص 1140-1159

البعد الصوفي في الكتابة الروائية النسوية الجزائرية المعاصرة:
رواية قوارير جميلة بوحيرد لربيعة جلطي نموذجا

The Sufi Dimension in Contemporary Algerian Feminist Novelist Writing:
"Jamila Bouhaired's Bottles" by Rabia Djalti as a Model

محمد قاسيمي[1*] ؛ حليمة بلوافي[2]

[1] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث- جامعة عين تموشنت (الجزائر).
البريد الالكتروني المهني : mohammed.kacimi@univ-temouchent.edu.dz

[2] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث- جامعة عين تموشنت (الجزائر).
البريد الالكتروني: halima.belouafi@ univ-temouchent.edu.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/06/30	2022/10/26	2022/12/01

الملخص: تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن لون من ألوان التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة، فكانت عيِّنة الدراسة رواية قوارير للروائية ربيعة جلطي، نظرا لما تصطبغ به التجربة النسوية من أهمية في هذا المضمار، إذ تعد من التجارب الروائية المعاصرة، التي أعلنت حضورها من خلال ما تتضمنه من تجدد وتمرد على سلطة النموذج الروائي التقليدي، بانبثاق منجز سردي مفتوح على التعدد والاختلاف.

ولعل من أبرز سمات هذا التجريب استدعاؤها للخطاب الصوفي ونهلها من معينه، ولولوج هذا الموضوع انطلقت من إشكالية ما مدى حضور الخطاب الصوفي في الرواية النسوية الجزائرية ؟ وما أهم تيماته البارزة في رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد؟ وخلصت إلى جملة من النتائج أهمها:

- الوقوف على مدى استجابة المنجز السردي لطبيعة التجربة الصوفية.
- أهمّ الملامح الصوفية في رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد.

الكلمات المفتاحية: *الرواية النسوية ؛ الخطاب الصوفي؛ رواية قوارير؛ التجريب.*

* **المؤلف المرسل**

Abstract: This study seeks to reveal one of the colors of experimentation in the contemporary Algerian novel. The sample of the study was the novel of qawayir by the novelist Rabia ghelti, due to the importance of the feminist experience in this field, as it is one of the contemporary novelistic experiences, which announced its presence through its renewal and rebellion against the authority of the traditional novelistic model, with the emergence of a narrative achievement open to diversity and difference.

I started from the problematic of how much presence of the Sufi discourse in the Algerian feminist novel and what are his most prominent themes in the novel bouhayred Street flasks It concluded a number of results, the most important of which:

- To determine the responsiveness of the narrative performer to the nature of the mystical experience.
- The most important mystical features in the novel bottles of hayred Street.

Keywords: *Feminist novel; Sufi discourse; flasks novel; experimentation*

مقدمة:

تعد الرواية فضاء اجتماعيا مفتوحا تتفاعل من خلاله كل عناصر المنجز السردي الروائي، وتتصارع فيه مختلف الثقافات والتوجهات، والأفكار، والإيديولوجيات، فأصبح النص الروائي يعبر عن القضايا الاجتماعية والفكرية، كما يعبر عن صراع الطبقات الاجتماعية، مستخدما كثيرا من الخطابات منها السياسي أو الخطاب الديني أو الخطاب الصوفي وكذا الخطاب الشعبي والخطاب التحَرُرِي ويكثر هذا اللون من الخطابات في السرد النسوي، ويجسد كلام الشخصيات، ويجعل الروائي مبدعا بلغة معبرة للون الخطاب الذي يتقصده من خلال المتن الحكائي، ولعل هذا ما أشار إليه جيرار جينات بتعريفه للسرد المحض الذي يقدم فيه الراوي الحكاية خالصة من خلال تمظهرات الشخصيات وتفاعلها وخضوعها لسلطة الواقع أو نزوعها إلى تمثيله. (القاضي ومجموعة من المؤلفين، 2010، ص278).

نجد السرد النسوي الجزائرية يهدف إلى إغناء تجربته الروائية بتطويع التراث، فنجد الروائية قد ابتكرت دلالا ت جديدة تُغني تجربتها الروائية مستدعية في ذلك التراث بكل ما يحويه من مصادر، موظفة مخزوناته وتجاربه، منوعة في مستويات خطابه السردي معتمدة على التراث للتصريح بما هو مسكوت عنه، فلما اتسعت رؤياها، صاغت

الروائية من التراث ما يناسب رؤياها ويتماشى مع طرحها بعيدا عن الالتزام بالتاريخ وسير أحداثه، فالحداثة ليست طمساً للتراث، بل إعادة صياغة له بشكل جديد لصالح الإبداع الروائي من حيث المعنى والسرد وتطور الحدث والزمان والمكان، فنجد الرواية النسائية المعاصرة تستدعي التاريخ والحكاية الشعبية والسيرة وكتب التراث والنص الديني، والتجربة الصوفية كجزء من التراث، ومظاهر من مظاهر حداثة الرواية العربية المعاصرة، وتعتمد على التجربة الصوفية إن اقتضتها الضرورة أو غيرها من الروافد الأخرى وتبدع تعبيرا عن رؤية صاحبها للكون"فمعظم رجالات الصوفية هم شعراء، مارسوا الكتابة الشعرية واتخذوها وسيلة للتعبير عن فلسفاتهم ورؤاهم المتفردة للوجود والكون" (محمد أدادا، د.ت، ص31) ، فتنتج قوالب أدبية حداثية جديدة ، ولأن الشعرية من أهم سمات الرواية المعاصرة فإن الخطاب الصوفي يحليها في حلة جمالية بديعة ويضفي الشاعرية عليها، ويتيح للمتن الحكائي أن يصبح نصا روائيا ذو" بنية مفتوحة ومتعددة الخطابات" (يقطين، 1985، ص287-288) لما يحويه من شعر وسرد وخرافة وحلم وسحر، وهكذا تصبح الرواية مدارا للتجريب، ومجالا لاحتضان الرؤية الصوفية، فبالرؤية الشعرية والرؤية الصوفية تحقق الرواية بعداً جماليا كبيرا مثيرا للتأمل.

وفي هذه الورقة البحثية نحاول أن نجيب عن الإشكاليتين التاليتين :

هل استطاع السرد النسوي الجزائري أن ينفتح على التجريب الصوفي؟ وما أهم الملامح الصوفية في رواية قوارير؟

ولولوج موضوع البحث بسطنا جملة من الفرضيات منها أن السرد النسوي الجزائري ينبثق من رحم المجتمع الجزائري ويعبر عن ثقافته وصراعاته ويعالج مواضيعه الشائكة فهو يجاوز بين الخصوصية الجزائرية التي هي أحد أهم سيماته ويراعي تقاليد الأدب العربي بصفة عامة ويخضع لما يمليه عليه من تطور وتجديد في ظل الحداثة والمعاصرة وهذا ما يجعله يوظف التجريب سعيا منه لبلوغ الهدف في

التعريف بخصوصيته وكُنهِيَتِه ، فأضحت بذلك الأعمال الروائية الجزائرية ذكورية كانت أو نسوية تنافس شقياقاتها من الإبداعات الأخرى مغاربيا وعربيا وعالميا.

ورغم الظروف والحقب العصيبة التي مرت بها الجزائر جعلت من الروائيين يقتبسون من التراث بكل مكوناته ويوظفونه تعبيرا منهم على واقعهم وسعيا منهم للنهوض بهذا الجنس الأدبي.

وباعتمادي في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التجريبي خلصت إلى جملة من النتائج أهمها:

- منطلقات الرواية الجزائرية النسوية ومكوناتها .
- التجريب وتوظيفه في الرواية النسوية الجزائرية.
- أهم الملامح الصوفية في رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد ربيعة جلطي.

تنطوى عتبات النص الروائي على جملة من الايقونات الاشارية والرمزية اللغوية التي تشكل الخطاب الروائي بحيث تثير القارئ وتستهوي اشتهائه السردي وتكون زاوية الرؤية تجاه النص الإبداعي

1. انفتاح جنس الرواية النسوية على النثر الصوفي:

مما لا يخفى على باحث في ميدان الأدب هذا الأفق الرحب والمتسع الذي تشغله الخطابات الصوفية بتنوع إشكالاتها وتباين موضوعاتها المطروقة، مما جعلها تستقطب عديد المداخل والمقاربات والاستراتيجيات، وتشتغل على النص وتطرق موضوعاته المختلفة وتوليها اهتماما كبيرا في دراستها، ويعد اللون الصوفي من أهم النصوص التي استرعت اهتمام الباحثين وكانت محطَّ دراستهم رغم أن أغلب هذه الدراسات عنيت بالخطاب الصوفي الشعري، فبلورت التجربة الصوفية من خلال ما تصرف في الشعر من ممارسات لغوية مست قواعده غير مراعية آلياته، محققة بذلك مقتضيات تطبيق المقاربة الحديثة، وهذا لا ينفي اهتمام الباحثين كذلك بالكتابة الصوفية في شقها النثري انطلاقا من

طبيعتها التجاوزية التي أفلتت من تصنيفات النقاد، فجاءت أبحاثهم تلك محاولة جادة لاستكشاف بنيات أدبية جديدة ودراستها.

فالتجربة الأدبية قد استفادة كثيرا من التجربة الصوفية وتعالقت معها كونهما تعزفان على بواطن الذات الإنسانية، وتعَبِّران عن خلجاتها وروحانياتها يقول فليب سولرس "إن الأثر الأدبي العظيم يتنفس برئة الدين " (أبو منصور، 1985، ص336)

وإذا أمعنا النظر في القرنين النيرين القرن الأول وردحا من القرن الثاني الهجري نجد أن الموعظة تلازم فن القص، فنجد القران الكريم يعده منهجا تربويا فعالا يخاطب به المؤمن ويقوِّم به سلوكه قال تعالى: لقَد ْكانَ في قَصَصِهم عِبرة لِأُولي الأَلبَاب" سورة يوسف الأية111، وعلى ذلك النهج دأب أهل الصلاح والأيمان قال مالك بن دينار: "الحكايات تحف الجنة" (البغدادي، ص131)، وقال أبو حنيفة: "الحكايات عن العلماء أحب إلي من كثير من الفقه لأنها آداب القوم" (التلمساني، 2008، ص21)، وكان الإمام الصوفي الجنيد يقول: "الحكايات جند من جنود الله"، كان الإمام القاضي المحدث أبو علي الصديق كثير الرواية ويروى عنه أنه قال يوما لتلميذه أبي العباس بن العريف" يا أحمد، الحكايات جند من جنود الله يثبِّت الله بها قلوب العارفين من عباده" (التلمساني، 2008، ص22.) وقد قال لسان الدين بن الخطيب متحدثا عن منهجه في كتابه : واجتلبت الكثير من الحكايات وهي نوافل فروض الحقائق ووسائد مجالس الرقائق، وبعض الجوانب لنفوس المحبين، والبواعث لهمم السالكين، وحجتها واضحة بقوله تعالي في القرآن: (وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيكَ) سورة هود/الاية120، فالحكايات والقصص أصيلة في خطابهم وعن هذا القص والموعظة نشأ النثر الصوفي وأدبياته، وقبل أن تتبلور في قصص وكرامات في القرن الرابع، وقد حظيت الكرامة بعناية بعض الباحثين في حقول معرفية كثيرة، وقد يكون أدبها وسردياتها الأقل حضورا في منجز الدراسات والأبحاث العلمية.

يتفق عدد من الباحثين على أن كثيرا من الروائيين المعاصرين في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة يسعون إلى توظيف المكوّن الصوفي لاعتبارات فنية وإيديولوجية، ويترجمون تجاربهم الصوفية الخاصة في إبداعاتهم الروائية. ويمثّل البعْدُ الصوفي عندهم مظهرا من مظاهر الحداثة، وبهذا تتمازج الرؤية الشعرية والرؤية الصوفية في النصوص الروائية المعاصرة مما يجعل من هذه النصوص الروائية محضنا خصبا لتشكيل شعرية (Poéticité) الرواية الجديدة؛ وأكدت الساحة الأدبية حضور البعد الصوفي الأكيد والملموس في كثير من الإبداعات الروائية الحديثة والمعاصرة، وكان للأدب النسوي فيها يد طولى، حيث عرفت الساحة الأدبية العربية شواعر سجلن حضورهن بقوة، وأعمالهن الشعرية شاهدة على ذلك، لما انصبغت به من تجارب إنسانية تتوجه بها المرأة الجزائرية إلى القارئ في كل زمان ومكان، وظلت المرأة الجزائرية تنافح في المشهد الأدبي لتثبت وجودها وتؤسس لأدب يعبر عن كيانها ويدافع عنها سواء من خلال كتابة الشعر، رغم أنه كان محصورا في موضوعات ضيقة تعبر عن واقعها وما تعانيه من مطارق العادات والتقاليد التي يفرضها المجتمع الذي تعيش فيه،وما يخالجها من مشاعر وجدانية، دون أن تخترق عوالم الكتابة الصوفية، وبالفعل استطاعت أن تبرهن على مهارتها الإبداعية، فانتقلت من كتابة الشعر إلى الابداع الروائي في العصر الحديث.

2. الرواية النسوية الجزائرية المنطلقات والآفاق:

يرجع مصطلح الأدب النسوي إلى ما بعد الثورة الثقافية التي حدثت بفرنسا سنة (1968)، وقام بها مجموعة من الشباب، فأسفرت عن الأدب النسائي الذي انبثق عنه فيما بعد النقد النسائي في حركة نقدية حديثة وكان يهدف إلى الإجابة عن كل ما يتعلق بالمرأة من أسئلة سواء ما تعلق منها بوضعها الاجتماعي أو الأدبي أو حتى دورها الإنساني وما يبنى عليه من أحكام نقدية تقوِّم ما تكتبه هذه الأخيرة انطلاقا من كونها مبدعة أو ناقدة.

وتفرعت هذه الحركة الأدبية والنقدية في العالم لتشمل في فترة السبعينيات من القرن الماضي كل من أمريكا وأغلب البلدان الأوروبية كانجلترا وفرنسا وألمانيا والبرتغال حيث صدرت بها صحف للأدب النسائي أدت إلى إنشاء دور نشر نسائية ، رغم ما لوحظ على هذه الكتابات والإبداعات النسائية من أنها كانت تحمل طابعا يساريا مطابقا للنظريات النقدية الجديدة كالبنيوية وما بعدها والحداثة وما بعدها والماركسية الجديدة (الربيعي، ص51).

ومن أوائل من كان لهم السبق في هذا اللون من الأدب النسوي الجزائري زهور ونيسي صاحبة المقولة الشهيرة "الأدب يقوم على جوهر إنساني دون أن تدخل فيه الأنوثة أو الذكورة " (بايزيد، ص66) التي كانت بدايتها مع مجموعة قصصية، والأديبة مبروكة بوسماحة؛ ثم توالت الإبداعات النسوية مع أديبات أخريات من أمثال جميلة زنير؛ نورة سعدى؛ وأحلام مستغانمي التي قال عنها الناقد محمد الغذامي لأنها تمتلك الوعي وتعد تعد روايتها سابقه في ميدان الأدب النسوي العربي وبوابة والتجديد، فضيلة الفاروق هذه الأديبة التي كانت بدايات كتابتها شعرا وانتهى المطاف بها إلى كتابة القصة هذا الجنس الأدبي الذي اعتبرته أكثر قدرة على التعبير عن خلجاتها وأحاسيسها ومشاعرها من الشعر فتقول: "لا يستطيع أن يرصد كل خلجاتي ولا يستوعب ما بداخلي" (دوعان، ص41) ، وبذلك اتجهت إلى القصة لما وجد فيها من متنفس أوسع يسعفها على التعبير أكثر ويطاوعها على البوح بكل أحاسيسها ومشاعرها وفي القصة تقول "وفيها أستطيع أن أفجر كل أحاسيسي وإن كانت المعاناة واحدة، فالشعر كثيرا ما يكون موفقا انفراديا ذاتيا، والقصة هي عالم الآخرين" (دوعان، ص41)، فالأدب السردي قد أتاح للمرأة متنفسا تعبر فيه عن عالمها الخاص، ويمكنها من أن تبدع فيه بإطلاق الخيال وتفجير كل طاقاتها، وتعبر عن واقعها الحياتي فتجرر من القيود، ذلك كون المرأة كانت ولفترة طويلة مادة

دسمة منتحلة الشخصية مُثِّل بها بعيدا عن الحقيقة والواقع في نماذج أدبية مضللة إلى أبعد الحدود (ينظر عبد الله إبراهيم، 2011 ، ص215).

ربما هذا ما تذهب إليه أيلين شوالتر (Elaine chowaltir) في أن الكتاب الأنثوية تمر في نظرها بثلاث مراحل، أولا محاكاتها الأدبية لما هو سائد من تقاليد ومهيمنا على الساحة الأدبية ثانيا اعتراضها على هذه المعايير والقيم وأخيرا مرحلة اكتشاف الذات وقد اصطلحت على المرحلة الأولى تسمية المؤنثة وعلى الثانية تسمية النسوية وعلى الثالثة تسمية الأنثوية. (نجم، 2005، ص 164– 165).

أما الباحثة بياتري ديدي (Béatrice dede) فقد شخصت العلاقة بين الكتابتين النسائية والرجالية وتداخلها فخصوصية الكتابة النسائية يمكن أن نعثر على نظيرها في الكتابة الرجالية (يقطين، 2012، ص 206)، ولهذا فإن الرواية النسوية لا تكون نسوية بمجرد أن كاتبها امرأة، بل لابد للرواية التي تحمل الصفة النسوية، من أن تقوم بطرح قضايا المرأة الاجتماعية والسياسية التي هي تصوير للحياة العامة والخاصة للمرأة على حد سواء، وفي ذلك يقول إبراهيم خليل: "الرواية النسوية هي نوع يتم التركيز فيه على المسائل التي تطرق بشكل مباشر خصوصية المرأة ولا يشترط في مؤلف الرواية النسوية أن يكون امرأة، وإن علم ذلك من العنوان أو مما يكتب" (الطيب، ص41)، لقد أسهم السرد النسائي في التعريف بقضايا المرأة الجزائرية والدفاع عنها وإيصال صوتها إلى داخل وخارج الوطن سواء في المجال الروائي المكتوب باللغة العربية بأقلام نسوية جزائرية ناضجة من أمثال ياسمينة صالح، زهرة ديك، شهرزاد داغر وفضيلة الفاروق اللواتي يستأهلن التقدير العلمي والأدبي لما تضمنه أدبهن من جمال وإبداع (دوغان، ص10)، أو حتى الروايات المكتوبة باللسان الفرنسي والتي كانت بدايتها محتشمة إبان فترة الاستقلال ثم ازدهرت في العشرية الأخيرة من القرن العشرين ونذكر من هذه الطاقات النسوية

المبدعة أسيا جبار وطاووس عمروش وجميلة دباش اللواتي ألقي على عاتقهن إيصال الأدب الجزائري إلى الآخر (منور،2007، ص106)

3.السرد النسوي الجزائري والتجريب الصوفي:

وبما أن الرواية جنس أدبي يسعى دائما إلى أن يتخطى المألوف، ويقتل النمطية، وينشد التميز، نجده ينفتح على مختلف الأجناس الأدبية الأخرى على تنوعها واختلافها ،استيعابا أو استقطابا أومحاكاة، في قصدية لتحقيق الجمالية الفنية التي تأسر القارئ وتستهويه، وتثير فيه الشك للتنقيب والبحث، الشيء الذي جعل العمل السردي يتجه نحو الحداثة والتجديد ليغرف من معينها، فنجد الروائي العربي يعمل على ممارسة التجريب، من خلال الكتابة الإبداعية، وخلق أشكال أدبية مغايرة تتلاءم وطبيعة المتلقي للنص الروائي في العصر الحديث، فتوجه إلى التراث، لاسيما التراث الصوفي لينهل من معين الصوفية.

وكان الأدب العربي قد عرف تجربة الكتابة الشعرية الصوفية منذ القدم، إذ ظهر الشعر الصوفي في (أوائل القرن الثاني الهجري على يد الحسن البصري، وتلامذته من بعده، وأقدم هذا التراث خلفه المتصوفة الأوائل من الشعراء بداية من رابعة العدوية (135 هـــ) وسهل التستري (283) هـــ، والحلاج، والشبلي، وأبو زيد البسطامي، وغيرهم من مختلف العصور (منصور، 1999، ص27)

فكان للخطاب الصوفي حضور قوي، بخصوصياته الفنية الجمالية وأبعاده الفلسفية، كما أن للغة الشعراء المتصوفة خصوصياتها، بما تحتوي من رموز وإرشارات تضفي على النص الأدبي هالة من الروحانية والقدسية، وتعد رابعة العدوية أشهر امرأة متصوفة كتبت الشعر الصوفي ولم تعرف امرأة غيرها على الإطلاق خاضت تجربة (كتابة الشعر الصوفي) على مستوى الأدب العربي، لقد عرفت الساحة الأدبية العربية شواعر سجلن حضورهن بقوة، وأعمالهن الشعرية شاهدة على ذلك، فكانت المرأة العربية تصور في أشعارها تجارب إنسانية تتوجه بها إلى القارئ في كل زمان ومكان.

وكانت المرأة الجزائرية في المشهد الأدبي هي الأخرى قد مارست كتابة الشعر، وظلت كتاباتها محصورة في الموضوعات الاجتماعية والوجدانية، دون أن تخترق عوالم الكتابة الصوفية، واستطاعت أن تثبت مهارتها الإبداعية، فانتقلت من كتابة الشعر إلى الإبداع الروائي في العصر الحديث منطلقة في ذلك من رؤية حداثية روائية اتضحت من خلال اشتغالها ببنيات الحكي والمتمثلة في السرد والوصف والفضاء الروائي والزمن في قالب فني حداثي تتناظر وتتماشى فيه البنيات الفكرية الحديثة الناتجة عن التيار الحداثي الحاصل في الفكر العربي، والوعي الجمالي الحداثي الخاص بالكتابة، في بحث مستمر عن أفق مفتوح، يُمكِّنها من التَطلّع للمستقبل، دون أن تغفل الحاضر، في مغامرة تقتحم بها عالم التجريب الذي هو إنتاج لخطاب يبني الواقع عبر التخيل، ليؤسس خصوصية النص الروائي وتفرده " فالمرأة تكتب الأدب من خلال وعيها بذاتها وأن هذا الوعي الذاتي عند المرأة هو الذي دفعها على مدار أحقاب متفاوتة إلى التعبير عن نفسها في قالب أدبي" (حفناوي، 2009، ص 33)، وهو ما أحدثته باستدعائها للخطاب الصوفي حيث جعلت من نصها الروائي نصا مفتوحا على دلالات واسعة بأبعاده ولغته ينفتح على أوجه متباينة للقراءة.

4. تجليات الخطاب الصوفي من خلال المنجز السردي في "رواية قوارير شارع جميلة حيرد":

أسهمت الأدبية ربيعة جلطي في إثراء الساحة الأدبية الجزائرية وبرزت كغيرها من المبدعات الجزائريات بإطلالة شعرية حيث كانت باكورة إنتاجها الأدبي وقامت بإصدار ديوانها الشعري الأول: (لوجه غير بارسي)، سنة 1981م تلته مجموعة أخرى من الدواوين، ولم تتوقف عند نظم الشعر، بل تعدته إلى ولوج عالم السرد، فكتبت في الرواية واتخذتها فضاء رحبا للتعبير عن طموحها والذود عن حياض المرأة والدفاع عنها وإسماع صوتها، واختارت الذروة، كانطلاقة واعدة في عالم الرواية، ثم بعد ذلك

أصدرت رواية (نادي الصنوبر) ثم رواية (عرش معشق) فروايتي (حنين بالنعناع) و(عازب حي المرجان) وفي العام 2019 أصدرت رواية (قوارير شارع جميلة بوحيرد).

فجاءت هذه الأعمال الأدبية مفعمة بأحداث ووقائع تحيط بعوالم المرأه الجزائرية، ومعبرة عن واقع حياتي اجتماعي سياسي طرقت فيها الأديبة ربيعة جلطي موضوعات مختلفة، سياسية واجتماعية ووجدانية، ومما أثرى المشهد الأدبي الجزائري اليوم، للكتابة الروائية النسوية، التي هي "الحيز الأكثر رحابة لإعلاء صوت النساء، وانطاقها بلسان حالهن... عانت المرأة طويلا، وغابت أو غيّبت من المشهد الأدبي... حاولت مقاومة التهميش... صارت الكتابة فعل خلاص لها" (صالح، 2014، ص136)، وانطلاقا مما سبق يمكن القول بأن الرواية تعد فضاء ومتنفسا تعبر به المرأة عن ذاتها وتثبت به حضورها الأدبي محليا وعربيا ودوليا، وتميزت بتنوع الخطاب الروائي السنوي الجزائري المحاكي للخطاب العربي، الذي لم يخرج في عمومه عن دائرة الدفاع عن حقوق المرأة وتصوير معاناتها داخل المجتمع الذكوري.

وفي هذه الورقة البحثية ترافقنا رواية (قوارير شارع جميلة بوحيرد)، للروائية ربيعة جلطي والتي تعد من الروائيات الجزائريات اللواتي رفعن لواء الكتابة عن حياة المرأة في المجتمعات العربية عامة وفي الجزائر بوجه خاص، ومن نماذجها الروائية النسوية التي اقتحمت عالم المرأة وكشفت الغطاء عن معاناتها، وأخضعت تجربتها السردية للتجريب بالغوص في عوالم الصوفية، وحياة المتصوفات وهي تجربة حديثة العهد ونادرة في المشهد الروائي الجزائري، فكانت رؤيتها إنسانية مختلفة للعالم تؤمن بالتعدد، والتنوع الفكري، والثراء المعرفي، وحاولت أن تكتب نصا روائيا مغايرا استرشدت فيه بالمعجم الصوفي كأداة تجريبية، في متن حكائي تفاعلت فيه الموضوعات الدينية والتاريخية بالأدبية.

وحلقت بالقارئ في عالم التخيل إلى عالم روحاني صوفي لعبت فيه الشخصيات النسوية دورا مهما في إبراز حياتهن بظروفها السياسية والاجتماعية والفكرية، ففضلن حياة التصوف والزهد.

5. التجليات الصوفية في رواية قوارير:

انفتحت الرواية على التراث الصوفي بشكل كبير فأطلقت الروائية العنان لمخيلتها، فزاوجت بين الواقعي والمتخيل،في لوحة سردية،أدارت أحداثها مجموعة من الشخصيات النسائية من الطبقة المثقفة، استثمرت فيها المعجم الصوفي، وحاولت استدعاء المفاهيم الصوفية، على مستوى الخطاب المؤلَّف من مختلِف المقوِّمات والمشكِّلات التي يَعتبرها نقاد السرديات خصائصَ مميِّزة للخطاب السردي؛ كالفضاء والشخصية،والأمكنة والأحداث وللوقوف على هذه التيمات الصوفية لابد من أن نتجوّل بين جنبات هذا المتن الحكائي ونقلِّب النّظر في مكامن إبداعاته.

1.5 دلالة العنوان:

يحظى العنوان بأهمية بالغة في كل عمل أدبي وفني لأنه يمثل البوابة التي ينفذ منها القارئ أو المتلقي لهذا العمل على اعتبار أنه علامة لغوية هامة في إظهار هوية النّص الروائي في الرواية المعاصرة " لا يروم أن يكون مرآة تعكس موضوع الرواية ولا مفتاحا ميسرا لولوج عوالمها بقدر ما غدا موضوعا إشكاليا، لأنه يخلق لدى المتلقي انتظارا من نوع خاص حيث تتلبسه الحيرة والتردد" (أشهبون، 2010، ص69.)

حيث صار العنوان مثيرا لعديد التساؤلات ومشحونا بعديد الدلالات والرموز الّتي تكسِّر أفق انتظار المتلقي بعدما كانت توهمه إيهاما بسهولتها وإدراك مكنونها ، ويجعل القارئ "يفتح الدلالة على وسعها ويبعدها عن الانغلاق، بل ويدفع القارئ إلى اختيار أسئلته وتأويلاته في عمق النص ذاته، من خلال التّفاصيل والوقائع والتاريخ والمتخيل الّذي ينجزه بصبر وأناة" (الأعرج، 1997، ص52)، وبذلك فهو يعد علامة لغوية هامة

تساهم في إظهار هوية النّص الروائي، ومفتاح للنص ذاته، يأخذ ملكاته الخاصة بعين الاعتبار، فالعنوان والنص علاقتهما شاملة لا تقف عند بعض الجزئيات، بل تتجاوزها إلى حد تشكيل كل متكامل، فالعنوان "يتجاوز الحدود المباشرة ويشيد سيمائيته الخاصة" (الأعرج، 1997، ص50).

من خلال العنوان الذي اختارته الروائية ربيعة جلطي وسمت به عملها الروائي قوارير شارع جميله بوحيرد، نجده يتكون من مصراعين الأول قوارير التي هي النساء بصفة عامة والمصراع الثاني توظيفها للمجاهدة جميلة بوحيرد والتي توجي بدلالات عميقة منها الجهاد والعنفوان والثورة والحرية ورفض الذل وبالتالي هذا العنوان ينسحب على المتن الروائي كله ويختصره الرواية إلى حد بعيد ، فاحتيار العنوان بهذا الشكل أدى وظائف متداخلة شكلية وجمالية ودلالية فلفظة قوارير لها بعد الديني وردت في حدث النبي صلى الله عليه وسلم "كما لها بعدها الجمالي فكلمة قوارير مفردها قارورة والقارورة لها شكلها الجمالي أضف إلى ذلك أنها رغم رقتها وسهولة كسرها تحوي أشياء وتسترها قد تكون قبيحة أو جميلة فهي تشبه المرأة إلى حد بعيد ولها بعد دلالي حيث إنها تحمل معاني الرقة والجمال والحنو والستر وكلها من صفات الأنثى، وتظهر جليا صوفية العنوان في كونه يشتمل على مكان مؤنث "شارع جميلة بوحيرد" وفي ذلك تناص مع قول ابن عربي في كتابه الفتوحات الربانية في جزئه الأخير "المكان الذي لا يؤنّث لا يعوّل عليه" في إشارة إلى أن المرأة هي مصدر الإشعاع، والمكان الذي يخلو منها يظل باهتا لا قيمة له، فهي من يضيف المكانة للمكان.

2.5. الشخصيات والتجليات الصوفية:

1.2.5. أصفية الصابرة:

استطاعت الروائية أن تكثف من الشخصيات المؤثرة في المشهد السردي مما يضفي عليه الحيرة والقلق والشك، ليجعل من المتلقي أسير البحث عن خلفيات هذه الذوات الفاعلة

ودوافع تحريكها وتفاعلها، فأظهرت شخصية البطلة أصفية الصابرة بلسان قلمها شخصية ذات بعد ديني، فقد كانت امرأة متصوفة مهتمة بكتب المتصوفين، وذلك من خلال ما ذكر في الرواية " وكيف اهتدت إلى سر كتب المتصوفة والعلماء والفلاسفة والمفكرين والمبدعين "(جلطي، 2019، ص58).

وهذا ما يؤكده اهتمامها بكتب المتصوفة وغرفتها المليئة بالكتب الصوفية والدينية، والفلسفية كيف لا وهي المرأة المثقفة واسعة المعرفة والإطلاع ولعل ما أبرزته الروائية على لسان ابنتها لينار في متنها الحكائي "تغيرت عادة أمي إذ كلما عادت في المساء من عملها في قلعة لالة الكاملة بنت الصفا هكذا تسميها تأتي دائما وفي حقيبتها كتب عديدة، ومتنوعة في الفلسفة والدين والتفسير والمنطق والتصوف" (جلطي، 2019، ص40)، ومن هنا ندرك قصدية الروائية في تحقيق البعد الصوفي من خلال توظيفها للشخصيات الصوفية ومدى الدلالات التي تثير القارئ أو المتلقي، وعند تحليلنا للمعجم الدلالي الذي يحمله اسم البطلة "أصفية الصابرة" نجده يتكون من كلمتين اثنتين: "أصفية" و"صابرة"، فكلمة أصفية مأخوذة من الجذر "صفا" والصفاء في المعجم الصوفي "ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق في الحين... قال الكتاني الصفاء مزايلة المذمومات أو مزايلة الأحوال والمقامات... والصفائيه طائفة من الصوفية ادَّعت الصفاء والطهارة على الكمال والدوام" (الحفني، 1987، ص151).

أما الصابرة فهو الاسم الذي وصفته بها ربيعة جلطي للتعبير عن الصبر الكبير لهذه المرأة المتصوفة رغم معاناتها والظروف القاسية التي مرت بها خاصة في قضاياها مع المحاكم، والتسلط المفروض من طرف المجتمع الذكوري، فكانت مثالا في الصمود والصبر والتحمل مما جعل من هذه الشخصية قادرة عازمة على الدفاع عن حقوقها وإثبات حقها، وصامدة في خوض هذه الحرب كما تسميها، ضد السيطرة الذكورية، وتعلن التمرد الأنثوي. وتقرر مع صديقاتها في القلعة تأنيث تسميات شوارعهن (شارع آسيا

جبّار، شارع بقار حدة، شارع الكاهنة، شارع الريميتي، شارع أغاتا كريستي...) وكلها أسماء لنساء تمردن عن المجتمع والواقع" فالمرأة تتميز بملكة أخرى عظيمة إنها ملكة الصبر" (جلطي، 2019، ص210).

واستطاعت الروائية تجري إحداث الرواية في إحدى مناطق الغرب الجزائري، والمعروف أن السلطة الروحية لبعض سكان الغرب الجزائري عموما مرتبطة بمشايخ الصوفية، وأولياء الله الصالحين، فجاءت الرواية حافلة بأسماء عرفت تاريخيا بتصوفها كشيخ الصوفية ابن عربي، وشاعرة الحب الإلهي رابعة العدوية.

2.2.5. لينار:

الفتاة الجامعية شخصية مكتنزة بالشباب والفتوة، مثقفة رضعت ألبان الصوفية والزهد من صدر أمها الحاني"... لا أذكر من طفولتي سوى الهدوء والابتسامة المريحة لأم ذكية ومحبة" (جلطي، 2019، ص41)، أصفية الصابرة، فهي تعوضها عن حرمان الأب الذي لم تعرفه يوما وهذا ما يجعل من هذه الشحصية أكثر تعقيد وضراوة في الحقد على المجتمع الذكوري" أنا لينار، نعم لم اعرف لي أبا لم أره يدخل ويخرج من شقتنا، ينحنح ويحلق ذقنه" (جلطي، 2019، ص35)، وهي تسعى إلى تغيير الواقع بل العالم بأسره من منطلق علمي، وذلك بالصوفية والفلسفة، فتبدي تساؤلها (هل يتعارض عقلك العلمي الحر مع الصوفية التي تدعو إلى انطلاق العقل؟) (جلطي، 2019، ص20)، فهي ترى في الصوفية تحرير لعقلها وتنوير له يطلق لعقلها العنان في التفكير والإبداع، ولروحها في السمو والارتقاء.

3.2.5. حلاجة:

أبرزت الروائية شخصية حلاجة في هذا المتن الحكائي بأنها شخصية متصوفة دينيا فهي تظهر تحمل دلالة رمزية نسبة إلى حملها لاسم الحلاج، بكل ما تكتنزه اللفظة من حمولة صوفية، فهو شهيد التصوف الإسلامي، والصوفي الأكثر إثارة للجدل في

التاريخ الإسلامي، فشخصية حلاجة ذات أبعاد دلالية صوفية، كان لها من اسمها نصيب حيث ورثت حمولة مكثفة من الصفات الصوفية من هذا الرمز الصوفي الكبير (الحسين بن منصور الحلاج) على اعتباره موردا تعلقت به كل العقول والقلوب الصوفية في كل مكان وزمان وعُدَّ مصدر إلهام لكثير من الأحرار الذين ينشدون الصفاء ويتوقون إلى السمو بذواتهم وأرواحهم في العلياء، ينشدون الحرية، رغم انه نيل منه وعانى في سبيل ذلك ، وهذا ما ينطبق مع حلاجة التي جعلت من نفسها موردا يلجأ إليها الجنس الأنثوي فهي الشخصية ذات الحس المرهف والقدرة على التمييز بين الشخصيات النسوية ذات التأثير والفاعلية لذلك نجد الروائية تبرز هذا التميز عند حلاجة فتقول "حلاجة وحدها القادرة على معرفة الفرق من صوت الخنساء المبحوح، وصوت ولادة بنت المستكفي المغنم، وصوت ليلى الأخيلية ذي الغنج" (جلطي، 2019، ص22).

وبذلك تكون حلاجة تحمل دلالة ترمز للأنثى الذكية المتميزة بالمعرفة والتسامي الروحي، ويشبه صطدامها للتسلط والتجبر المفروض من الجانب الذكوري ورفضها المطلق للعيش في هيمنته ما يؤيده من سلطة حاكمة صدام الحلاج الذي اصطدم هو الأخر بالسلطة الحاكمة في زمانه .

4.2.5. ريناس:

فريناس رغم أنها شخصية ذات أبعاد دينية محيطة بها (أصولها دينية) أو نابعة من ذاتها فقد كانت متدينة وحافظة للقران الكريم، وندلل على ذلك من المتن الحكائي من استشهاد ريناس بالآيات القرآنية أثناء حجاجها الدائم لزوجها، المصحوب غالبا بالشجار المعبر عن الرفض " أنا لست جاهلة ولم أجد آية يفرض الله عز وجل فيها على النساء وضع تلك الأغطية السميكة فوقهن" (جلطي، 2019، ص98)، وهذا ما يبرز جانبا غائرا ومغمورا لريناس يجسد التناقض والقناع الذي يكتنف هذه الشخصية الغامضة ويثير التساؤلات حول رفضها للباس الساتر هل هو رفض للتسلط الذكوري أم رفضها للحجاب؟

لتجيبنا الروائية على لسانها "لست كافرة ولكنني اقرأ كلام ربي بقلبي وعقلي" (ربيعة جلطي،2019، ص99)، فهنا ريناس تنفي وتؤكد في ذات الوقت أنها ليست كافرة كما يظنها زوجها بل مؤمنة تقرأ كلام الله بخشوع تام وتركيز عقلي وتحفظه جيدا وتدرك تعاليمه فتتلو قوله تعالى "يَاأَيُّهَا اَلنَّبِيءُ قُل لِأَزوَاجك وَبَناتِك وَنِسَآءِ الْمُومنِين يُدنِينَ علَيهِنَّ مِن جَلابِيبهِنَّ ذَلِك أَدْنَى أَنْ يُعرفْنَ فلا يُوذَيْنَ وَكان اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا»الاحزاب351 وقد وفقت الروائية في توظف الشخصية الدينية للتعبير عن استمرار الماضي في الحاضر، والقدرة على استشراف الحاضر من خلال الماضي.

3.5. حضور الرمز الصوفي في المكان للرواية:

حرصت الساردة على تكوين أحداث نصها الروائي وفق أمكنة متنوعة لها دلالات مقصودة في الحكي حتى تمنح لشخصياتها حيزا جغرافيا تتفاعل وتتحرك فيه وتبني وفقه أحداثها سواء كان المكان مغلقا أو مفتوحا، وهذا ما جعل الأماكن تتعدد وتتنوع وفقا لطبيعة الأحداث ومميزاتها "لوجود ارتباط بينهما يتمثل في الإنسان الذي يعتبر حلقة وصل بين المكان المغلق والمكان المفتوح" (أحمد، 2007، ص 166).

1.3.5. القلعة:

فضاء مغلق له دلالات تتعلق بالتسمية قلعة "لالة الكاملة بنت الصفا" وكل مفرداتها لها أبعاد صوفية، ومعلوم أن الرواية خطاب مفتوح يمثل على صارع الأصوات المختلفة، ويبرز فيها التعدد اللساني في شكله الأكثر وضوحا؛ و"يرى ميخائيل باختين أن أي كلمة تنزع إلى دلالة اجتماعية" (باختين، 2009، ص32)، وإلى الانتشار بوصفها لغة خاصة للتعدد اللساني اللغوي فكلمة "لالة" لها دلالة المرأة الصوفية الصالحة وهو ما يضفي هالة قدسية على المكان، فالقلعة مكتبة صوفية "فيها كتب ابن عربي وجلال الدين الرومي والحلاج وأبو زيد البسطامي..." (جلطي، 2019، ص80)، وحتى النسوة اللواتي ينتمين لها يتميزن بأنهن زاهدات متصوفات مثقفات، ويحملن شهادات جامعية.

العجائبي:

ينبني الخطاب عموما في الخطاب الروائي على وجه الخصوص على خصوصية تمازج مكوناته والتحامها تمثل القلعة مستويين واقعي وتمثله شخصيه اصفية الصابرة وعجائبي وتمثله لالة الكاملة ومن هنا القلعة تمثل الارتفاع وتحافظ عليك متمثلا في زمن الليل الذي تعيش من خلاله البطالة حالة مونولوج monologue يخيلك لها فيه إن النجمة ميرة تكملها وتمرر لها رسائل مشفرة طيلة ربع قرن وفي ذلك تقول " دون جدوى تحاول أصفيه أن تتفادى النظر إلى أميرة، تلك النجمة التي تراها ليله ذات السماء صافيه، تتلألأ فوق شرفتها، تماما منذ أكثر من ربع قرن، منذ ومجيئها إلى هذه الشقة أصبحتا صديقتين قديمتين وحميمتين لكنها أصبحت تقلقها جدا في الليالي الأخيرة، إذ في كل ليلة ترسل لها إشارات تتضمن أسرارا لا يفكها سواها تخبرها محذرة ومشفقة بحدوث وشيك لحرب مدمرة، خاطفة قد تمحو الحياة من على سطح كوكب الأرض" وهو ما استطاع الروائية من خلاله أن تمزج لنا العجائبي بالواقعي من أزمنه وأمكنه واقعيه كالليل والشرفة بما هو عجائبي كحديثها مع النجمة "ميرة" وما ترسله لها من إشارات وتحذيرات، وبذلك أصبحت القلعة هي المنفذ الوحيد لأصفية مما ينتظرها من ويلات وحروب.

الخاتمة :

وفي ختام هذا البحث نقول بأن رواية "قوارير شارع جميلة بوحيرد "عمل فني سردي ناجح كسرت به الروائية "ربيعة جلطي "جدار الصمت الذي عاشت فيه المرأة طويلا وأصبحت ذاتا تَكْتُب بعدما كانت ولمدة طويلة ذاتا تتناول بالكتابة من طرف الرجل مساحة كبيرة للشخصيات وجعلتها تشتغل على ما تحتاجه المرأة بنسبة كبيرة بعيدا عن الرجل وميولاته الغريزية.

الرواية النسوية الجزائرية بكل خصوصيتها تقتحم عالم التجديد تستدعي التراث وتتكئ عليه موظفة في ذلك التجريب وحضور المعجم الصوفي بحسب مقتضيات المتن الحكائي.

توظيف المتخيل السردي كان للعجائبي نصيب في رواية "ربيعة جلطي" حيث جعلت منه متنفسا للبطلة وخلاصا لها واستشرافا لمستقبل المرأة الجزائرية التي تسعى في كل مرة إلى محاولة التحرر مخترقة بذلك زمن سير الأحداث إلى أزمنة أخرى.

تنوعت شخصيات الروائية من حيث المرجعية إلى شخصيات دينية صوفية، وسياسية وإحداث وربط الحاضر وبالمستقبل، من خلال استدعائها لأسماء نسوية صوفية وتاريخية كان لها دور إدارة أحداث النص .

سيطرة الشخصية النسوية واضحة وجلية في المتن الروائي وتنامي الصراع في محاولة لإثبات الذات في ظل تواجد العراقيل كالسلطات الذكورية والقيود الاجتماعية.

5. قائمة المراجع:

القران الكريم برواية ورش.

ربيعة، جلطي. (2019)، قوارير شارع *جميلة بوحيرد*. *منشورات الضفاف*،(ط1). منشورات الاختلاف، الجزائر.

إبراهيم، محمد منصور. (1999). *الشعر والتصوف الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر*. دار الأمين للنشر والتوزيع القاهرة مصر .

أحمد، دوعان. *الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر*.

أحمد، منور. (2007). *الأدب الجزائري باللسان الفرنسي*. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

عبد المالك، أشهبون. (*2010*). *الحساسية الجديدة في الرواية العربية*. (ط1). روايات إدوار الخراط أنموذجا، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الإختلاف الجزائر .

الحافظ الخطيب، البغدادي. *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*.(ج2).(د.ت).

حفناوي، بعلي.(2009) *مدخل في نظريه النقد النسوي وما بعد النسويه*.(ط1).الدراسه العربيه للعلوم ناشروت .

حفيظة، أحمد. (2007). *بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية*. دار أوغاريت الثقافي رام الله فلسطين.

سعيد، يقطين.(2012). *قضايا الرواية العربية (الوجود والحدود)* ، منشورات الاختلاف(ط1) 206.
سعيد، يقطين.(*1985*) القراءة والتجربة، مطبعة النجاح الجديدة المغرب.(*ط* 1).
شهاب الدين، التلمساني. (2008). *أزهار الرياض في أخبار عياض*.(ج1) مطبعه لجنه التاليف والترجمه والنشر القاهرة .
صبرينة، الطيب . آليات السرد في الرواية النسوية الجزائرية .
عبد الله، إبراهيم.(2011) *السرد النسوي، الثقافة الأبوية،الهوية الأنثوية والجسد*. (ط1). المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان.
فاطمة الزهراء، بايزيد.(2012/2011). *الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وجرعة المتخيل*، الطيب بودربالة, جامعة الحاج لخضر - باتنة.
فريد، أمعضـــــشو. (2009). *البُعْـد الصّـوفيُّ في الرِّواية المَـغربـيةِ*، مجلة طنجة/ الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب.
فؤاد ابو منصو.(1985). النقد البنيوي الحديث، ج 1، دار الجيل، لبنان،.
محمد، أداد. *الصوفي في الروائي*، مجلة فكر ونقد (مجلة ثقافية فكرية) المغرب، العدد*40* .
محمود، الربيعي.(2005). *من أوراقي النقدية* . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
مفيد، نجم ، *الادب النسوي* ، إشكالية المصطلح.
باختين. (2009). *الخطاب الروائي* . (محمد برادة، ترجمة؛ ط1). رؤية للنشر والتوزيع القاهرة
صالح، هويدا. (2014). *نقد الخطاب المفارق (السرد النسائي بين النظرية والتطبيق)* رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
الأعرج ، واسيني. (*1997*). *مدارات الشرق، بنيات التفكيك والاختراق*. مجلة تزي وزو، ع ،09يناير، ،ص . 52
محمد القاضي ومجموعة من المؤلفين، معجم *السرديات*. الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1 ،تونس، لبنان،2010.